ولـد الإمـام محمـد بـن سـعود بـن محمـد بـن مقـرن عـام ١٠٩٠هـ (١٦٧٩م).

ونشـأ وترعـرع فـي "الدرعيـة" واسـتفاد مـن التجربـة التـي خاضهـا فـي شـبابه حيـن عمـل إلـى جانـب والـده فـي ترتيـب أوضـاع الإمـارة، وهـو مـا أعطـاه معرفـة تامـة بـكل أوضاعهـا.

شـارك الإمـام محمـد بـن سـعود فـي الدفـاع عـن "الدرعيـة" عندمـا غزاهـا سـعدون بـن محمـد زعيـم بنـي خالـد بالأحسـاء، فصمـدوا ودحـروا الجيـش المعتـدي.

عُـرف عنه صفـات متعـددة، كالتديـن، وحـب الخير، والشـجاعة، والقـدرة علـى التأثيـر. كان محمـد بـن سـعود امتـداداً لتاريـخ أسـلافه الذيـن بنـوا الدرعيـة وحكموهـا، وانتقـل بهـا مـن دولـة المدينـة إلـى دولـة واسعـة.

تولـى الإمـام محمـد بـن سـعود الحكـم فـي أوضـاع اسـتثنائية فـي منتصـف عـام ١١٣٩هـ (فبرايـر ١٧٢٧م)؛ فقد عانـت الدرعية قبيـل توليـه الحكـم مـن ضعـف وانقسـام لأسـباب متعـددة، منها النـزاع الداخلـي علـى إمـارة الدرعيـة بيـن عمّـه الأميـر مقـرن بـن محمـد والأميـر زيـد بـن مرخـان، وكذلـك حملـة الدرعيـة علـى العيينـة، ومقتـل الأميـر زيـد بـن مرخـان، ومنهـا كذلـك انتشـار مـرض الطاعـون فـي جزيـرة العـرب خـلال تلـك الفتـرة وتسـببه فـي وفـاة أعـداد كبيـرة مـن النـاس. ومـع كل هـذه التحديـات اسـتطاع الإمـام محمـد بـن سـعود أن يتغلـب عليهـا وأن يتخطاها ويوّحـد الدرعيـة، وأن يسـهم فـي نشـر الاسـتقرار فـي منطقـة العـارض.

كان الإمـام محمـد بـن سـعود حاكمـاً حكيمـاً وفيـاً، تربـى فـي بيـت عـز وإمـارة وتعلـم السياسـة وطـرق التعامـل مـع الإمـارات المجـاورة والعشـائر المتنقلـة، وقـد كان لـه أثـر كبيـر فـي اسـتتباب الأوضـاع فـي الإمـارة قبـل توليـه الحكـم، فـي الوقـت نفسـه تحلـى الإمـام محمـد بـن سـعود برؤيـة ثاقبـة، فقـد درس الأوضـاع التـي كانـت تعيشـها إمارتـه والإمـارات التـي حولهـا بشـكل خـاص ووسـط الجزيـرة العربيـة بشـكل عـام، وبـدأ منـذ توليـه الحكـم التخطيـط للتغييـر عـن النمـط السـائد خـلال تلـك الأيـام، فأسـس لمسـار جديـد فـي تاريـخ المنطقـة تمثـل فـي الوحـدة والتعليـم ونشـر الثقافـة وتعزيـز التواصـل بيـن أفـراد المجتمـع والحفـاظ علـى الأمـن. وقـد كان لـه مـن الأبنـاء أربعـة، وهـم: عبدالعزيـز، وعبداللـه، وسـعود، وفيصـل.

كان محبّـاً للخلـوة والتأمـل والتفكـر، وهـو مـا يـدل علـى شـخصيته فـي الاسـتقراء والتأنـي والرؤيـة المسـتقبلية.

ذكـر المؤرخـون الثقـات عـن شـأن محمـد بـن سـعود أنـه كان رجـلاً كثيـر الخيـرات والعبـادة، وكان أبـوه سـعود وجـده محمـد أميريـن علـى إمـارة الدرعيـة، وهمـا أكبـر قومهمـا. وكان الإمـام محمـد كريـم الطبيعـة، ميسـر الـرزق، لـه أمـلاك كثيـرة مـن نخل وزروع. قيـل مـن سـخاء الإمـام محمـد بـن سـعود أن الرجـل كان يأتيـه مـن البلـدان يطلـب منـه شـيئاً كثيـراً لوفـاء ديـن عليـه، فـإذا عـرف أنـه محـق أعطـاه إيـاه، حتـى إنـه فـي إحـدى السـنين وفـد عليـه رجـل مـن أهـل بريـدة اسـمه ناصـر بـن إبراهيـم، وكان تاجـراً، لكنـه أفلـس، حيـث كان يشـتغل ببعـض أمـوال النـاس فصرفهـا فـي مهمـات نفسـه، وكان الـذي عليـه أربعـة آلاف ذهبـاً، فلمـا وصـل الدرعيـة أبـدى الأمـر لمحمـد ابـن سـعود؛ فأعطـاه أربعـة آلاف ذهبـاً. فقـال لـه أولاده: أتعطـي رجـلاً لا تعرفـه إلا بالاسـم هـذا المبلـغ؟ فقـال: نعـم. يـا أولادي، الدنيـا إنمـا جعلـت لكرامـة بنـي آدم، فالخيّـر منهـم ذو الشـرف إذا ذلَّ ينبغـي إعانتـه بمـا يمكـن لئـلا يزدريـه السـفلة، وناصـر ابـن إبراهيـم قـد سـمعتم بـه أنـه رجـل كان ذا مـال وشـرف، وقـد اضطـره الزمـان، فعلـى النـاس الكـرام إبـداء الخيـر لمثلـه.